عَـدَلَ الـرَّحْـمٰـنُ فِـيـهِ بَـيْـنَـنَـا
فَـقَـضَـى بِـالـلَّـفْـظِ لِـي وَالْـحَـمْـدِ لَـكْ[١]
فَـإِذَا مَـرَّ بِـأُذْنَـيْ حَـاسِـدٍ
صَـارَ مِـمَّـنْ كَـانَ حَـيًّـا فَـهَـلَـكْ[٢]

وأنى شئت يا طرقي

قال عند وداعه لعضد الدولة في أول شعبان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة (٩٦٤م) وهي آخر شعر قاله:

[الوافر]

فِـدًى لَـكَ مَـنْ يُـقَـصِّـرُ عَـنْ مَـدَاكَـا
فَـلَا مَـلِـكٌ إِذَنْ إِلَّا فَـدَاكَـا[٣]
وَلَـوْ قُـلْـنَـا فِـدًى لَـكَ مَـنْ يُـسَـاوِي
دَعَـوْنَـا بَـالْـبَـقَـاءِ لِـمَـنْ قَـلَاكَـا[٤]
وَآمَـنَّـا فِـدَاءَكَ كُـلَّ نَـفْـسٍ
وإِنْ كَـانَـتْ لِـمَـمْـلَـكَـةٍ مِـلَاكَـا[٥]

= العامة أمام الملك، ولقد انتشر في الكون كالشمس التي تسطع على سائر الكون، فإذا بها تلفّ سائر الكون وكأنه فلك يستمدّ من الشمس قوّته، كذلك فالشعراء يستمدّون من شعره ما ينتحلونه لأنفسهم.

(١) و (٢) يُخاطب الشاعر سيف الدولة منوّهاً بشراكتهما في هذا الشعر، فالشاعر يحوك معانيه من أسلاك صفات ممدوحه فيُلبسها معانيه، وتلك إرادة الرحمن أن جمع بين الشاعر وممدوحه، فكان اكتمال عناصر الجمال والكمال فيهما معاً. لذا فلو أن حاسداً سمع هذا الضرب من المديح انتفخت أوداجه ودبت فيه عقارب الحسد، سواء أكان ملكاً تمنّى لو يكون المدح له أم كان شاعراً فتمنّى أن يكون القول له، فذكر المحامد يبعث على المحاسد؛ وذلك شأن الضعفاء من البشر.

(٣) يُخاطب الشاعر ممدوحه، وقد رفع قدره على سائر الملوك؛ فمن واجب المقصر عن مجال عضد الدولة أن يفديه بروحه، وعليه فعلى الملوك جميعاً أن يُضحّوا بأنفسهم دفاعاً عن ممدوحه ليبقى حيًّا معافى.

(٤) و (٥) قلاك: أبغضك. يُردف الشاعر أن دعاءه له بالبقاء في سماء مجده دون سواه، =

ومَــنْ يَــظُــنُّ نَــثْــرَ الْــحَــبِّ جُــوداً
وَيَــنْــصِــبُ تَــحْــتَ مَــا نَــثَــرَ الــشِّــبَــاكَــا[١]
وَمَــنْ بَــلَــغَ الــتُّــرَابَ بِــهِ كَــرَاهُ
وَإِنْ بَــلَــغَــتْ بِــهِ الْــحَــالُ الــسُّــكَــاكَــا[٢]
فَــلَــوْ كَــانَــتْ قُــلُــوبُــهُــمُ صَــدِيــقــاً
لَــقَــدْ كَــانَــتْ خَــلَائِــقُــهُــمْ عِــدَاكَــا[٣]
لأَنَّــكَ مُــبْــغِــضٌ حَــسَــبــاً نَــجِــيــفــاً
إِذَا أَبْــصَــرْتَ دُنْــيَــاهُ ضِــنَــاكَــا[٤]

= لأنه لو دعا بالبقاء لمن يُساويه من الملوك لدعا باستمرار حياته، وهذا لا يرغب فيه الشاعر ولا يُريده، وإذا جعل الشاعر ممدوحه في هذه المرتبة الرفيعة عن سائر الملوك فهو يرفعه عن سائر البشر كذلك. وعليه فالبشر جميعاً يفدونه بأنفسهم، حتى الملك العظيم فيهم، فإنه يفديه بما يقوم عليه ملكه ليبقى حيًّا فضلاً عن نفسه.

(١) يُردف الشاعر حديثه عن طِباع الملوك؛ إنهم كمن ينثر الحبّ ويُعتقد أن عمله دلالة على الكرم ولكن الحقيقة أنه يُخفي شركه ليصطاد به؛ إن الشاعر يُعرّض بالملوك لأنهم يتصدّوْن للشعراء ليمدحوهم ويرموا لهم الفُتات، وهم يتلقّوْن المديح الذي يُشيد بمآثر كاذبة لا يستحقونها، والمشكلة في الشعراء أنفسهم، وهذا ما فعله المتنبي نفسه، فقد كان يلهث وراء ممدوحيه، فكلهم عنده تتمثّل فيهم نفس المواصفات التي يذكرها في شعره.

(٢) الكرى: النعاس. السكاك: الهواء الذي بين السماء والأرض. يروى «الحضيض» بدلاً من «التراب». . . ويُردف الشاعر منوّهاً بتفضيل ممدوحه على من سواه من الملوك، ممّن ملك المال والجاه والسؤدد وتطاول حتى بلغ السماء، فهو فداء الممدوح؛ فقد غفل ملصقاً رأسه في التراب.

(٣) و (٤) الخلائق: الأخلاق. يُثير الشاعر ممدوحه على سائر الملوك، إنهم يبدون له المودَّة، ويحملون في نفوسهم ضغينة وحقداً دفيناً، ذلك أن أخلاقهم خلاف أخلاق ممدوحه، فهو كريم الأخلاق. ذو حسب لذا فهو يكره ما دونه من يفتقد إلى عناصر التفوّق والعظمة، ومع ذلك ينتفخ كثرة ثراء، ومع ذلك فهو حريص شديد البخل، موهن الهمة، يتكالب على الحياة أكثر فأكثر ليكتسب الحمد ومدح الناس.

أَرُوحُ وَقَــدْ خَــتَــمْــتَ عَــلَــى فُــؤَادِي
بِــحُــبِّــكَ أَنْ يَــحِــلَّ بِــهِ سِــوَاكَــا؟[١]
وَقَــدْ حَــمَّــلْــتَــنِــي شُــكْــراً طَــوِيــلاً
ثَــقِــيــلاً لَا أُطِــيــقُ بِــهِ حَــرَاكَــا[٢]
أُحَــاذِرُ أَنْ يَــشُــقَّ عَــلَــى الْــمَــطَــايَــا
فَــلَا تــمْــشِــي بِــنَــا إِلَّا سِــوَاكَــا[٣]
لَــعَــلَّ ٱلــلَّــهَ يَــجْــعَــلُــهُ رَحِــيــلاً
يُــعِــيــنُ عَــلَــى الْإِقَــامَــةِ فِــي ذَرَاكَــا[٤]
فَــلَــوْ أَنِّــي اسْــتَــطَــعْــتُ خَــفَــضْــتُ طَــرْفِــي
فَــلَــمْ أُبْــصِــرْ بِــهِ حَــتَّــى أَرَاكَــا[٥]

---

(١) و (٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٦. يُخاطب الشاعر ممدوحه أنه لن يترك ممدوحه وقد ملك شغاف قلبه حبًّا، بحيث لم يُبق لسواه مكاناً لأنه استحوذ على كلّ مشاعره لكثرة ما أولاه من النعم التي أفقدته كلّ حركة، فثقُلت حركته، لذا فلا بدّ للشاعر من أن يردّ له الجميل فضلاً عن جزيل شكره له.

(٣) و (٤) يشقّ: يصعب. المطايا: الدواب، السواك: السير البطيء بسبب الإعياء. لقد عانى الشاعر من الترحال، بحيث لا يقرّ له قرار من أمير إلى ملك، من نجاح إلى فشل، وقد أحسّ أن الزمان يمضي به سريعاً، وهو يودّ الاستقرار في مكان لا إزعاج فيه، وقد يكون قد وجد في كنف ممدوحه سلواه بعد رحيل طويل؛ فقد غمره بعطاياه بحيث لا تستطيع مطاياه حمله. ويبدو أنها تبطئ السير كأنها تود البقاء في كنف الممدوح، وهو يمهّد بالعودة إليه ريثما يأتي بأهله سائلاً المولى عزّ وجلّ أن يكون الرحيل سريعاً لتكون عودة سريعة كذلك، حيث يستقرّ نهائياً في ديار ممدوحه.

(٥) يروى «ولو» بدلاً من «فلو». الطرْف، بسكون الراء: النظر. ولشدّة رغبة الشاعر بالعودة مسرعاً إلى كنف ممدوحه يودّ لو أغمض عينيه حتى لا يرى أحداً سوى ممدوحه، وفي هذه الحالة يَفتَح عينيه لينعم بمرآه ويسرّ بلقياه. من الواضح أن الشاعر يعمل على تطمين ممدوحه بأنه لن يترك حماه.

وَكَـيْـفَ الـصَّـبْـرُ عَـنْـكَ وَقَـدْ كَـفَـانِـي
نَـدَاكَ الْـمُـسْـتَـفِـيـضُ وَمَـا كَـفَـاكَـا؟(١)
أَتَـتْـرُكُـنِـي وَعَـيْـنُ الـشَّـمْـسِ نَـعْـلِـي
فَـتَـقْـطَـعَ مَـشْـيَـتِـي فـيـهَـا الـشِّـرَاكَـا؟(٢)
أَرَى أَسَـفِـي وَمَـا سِـرْنَـا شَـدِيـداً
فَـكَـيْـفَ إِذَا غَـدَا الـسَّـيْـرُ ابْـتِـرَاكَـا؟(٣)
وَهٰـذَا الـشَّـوْقُ قَـبْـلَ الْـبَـيْـنِ سَـيْـفٌ
فَـهَـا أَنَـا مَـا ضُـرِبْـتُ وَقَـدْ أَحَـاكَـا(٤)
إِذَا الـتَّـوْدِيـعُ أَعْـرَضَ قَـالَ قَـلْـبِـي
عَـلَـيْـكَ الـصَّـمْـتُ لا صَـاحَـبْـتَ فَـاكَـا(٥)
وَلَـوْلَا أَنَّ أَكْـثَـرَ مَـا تَـمَـنَّـى
مُـعَـاوَدَةٌ لَـقُـلْـتُ وَلَا مُـنَـاكَـا(٦)

(١) الندى: الكرم. المستفيض: الغامر الكثير. يُؤكّد الشاعر على أنه لن يتوانى حتى يعود إليه سريعاً، فقد أكثر له العطاء، وهو يودّ أن يزيده، رغم أن الشاعر لم يطلب مزيداً، لذا فلن يتأخّر حتى يعود مسرعاً، فصبره لا يتّسع مداه كثيراً.

(٢) الشّراك: سير النعل. يسأل الشاعر ممدوحه مستنكراً أنه لن يتركه وقد بلغ به أعلى السماكين، بل إنه انتعل عين الشمس بحيث جعله يتيه على من سواه من الشعراء وسائر البشر، وهو لا يبغي أن يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، وكأنه هوى من عرش علاه، فإذا بقدميه تخسران نعليهما وقد تقطّعت شراكهما، فمشى حافياً.

(٣) الابتراك: سرعة السير. يُبدي الشاعر أسفه لممدوحه أنه يتركه مضطراً، وحتى اللحظة لم يفعل، فلو غادر مملكته وجدّ به السير لكان أسفه عظيماً وحسرته كبيرة.

(٤) البين: الفراق. أحاك: أثر. يعبّر الشاعر عن أسفه لفراق ممدوحه. فالفراق أليم، وقد أثر فيه وكأن سيفاً أصابه وترك في نفسه جراحاً أليمة، وهو لم يزل في حضرة ممدوحه، ولم يُغادر ديوانه، فكيف لو تمّ الفراق؟

(٥) و (٦) أعرض الشيء: بان. عليك: اسم فعل أمر بمعنى الزم. يُخبر الشاعر ممدوحه ما كان بينه وبين قلبه، فقلبه أجمع على حبّ ممدوحه، لذا فقد طلب منه أن يسكت عن المديح، وألّا يتصدّر المحافل ويمدح سواه، وقد تمنّى عليه أن يرجع إليه في =

إِذَا ٱسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءِ
فَأَقْتَلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكَا[١]

فَأَسْتُرُ مِنْكَ نَجْوَانَا وَأُخْفِي
هُمُوماً قَدْ أَطَلْتُ لَهَا الْعِرَاكَا[٢]

إِذَا عَاصَيْتُهَا كَانَتْ شِدَاداً
وَإِنْ طَاوَعْتُهَا كَانَتْ رِكَاكَا[٣]

وَكَمْ دُونَ الثَّوِيَّةِ مِنْ حَزِينٍ
يَقُولُ لَهُ قُدُومِي ذَا بِذَاكَا[٤]

وَمِنْ عَذْبِ الرُّضَابِ إِذَا أَنَخْنَا
يُقَبِّلُ رَحْلَ تُرْوَكَ وَالْوِرَاكَا[٥]

= حال رحيله، وقد وافق الشاعر قلبه في ما فكّر فيه على أن يُسارع في العودة بعد رحيله ليُتمّ ما عزم عليه.

(١) استشفيت: طلبت الشفاء. الداء: المرض. أعلك: جعلك عليلاً. إنه نزاع بين رغبتين: إحداهما شوق إلى الأهل والوطن، الأحباب وذكريات حلوة محبّبة على القلب وأهل يُشاركون الشاعر إحساسه ومشاعره، والأخرى حبّ الشاعر لممدوحه الذي وجد فيه سلواه بعد رحلة الفشل والمغامرة، ووجد عنده ما افتقده لدى الآخرين.

(٢) يُخاطب الشاعر ممدوحه متمنياً عليه أن يستر حوارهما، فقد كشف ما يُعانيه من آلام مغلّفة بالكبرياء، ونفس جريحة تعرّت أمام من اعتقد الشاعر أنها ضنّينة بكشف حالة ضعف ألمت بها.

(٣) الركاك، الواحد ركيك: ضعاف. ثمّة صراع داخلي يُؤرجح الشاعر بين داعي الرحيل المدفوع بالشوق والحنين إلى مرابع الطفولة، وبين البقاء إلى جانب الممدوح؛ فالسهل في هذه الحالة يبدو صعباً، والصعب يبدو سهلاً.

(٤) ورد البيت في: الخصائص لابن جني: ٢: ١٧٤. الثوية: أحد أمكنة الكوفة. إنه حبّ المرء لمراتع الصبا، فالثوية موئل الأحباب؛ والكل مشوق إلى لقاء الغائب بعد غياب طويل، والعناق لغة الشوق وباعث السرور في القلوب، فسرعان ما ينسى البشر أوقات الهجر والبعد لحرارة اللّقاء المختلط بدموع الفرح والابتسامات النابعة من قلوب حرّكتها مفاجأة العودة.

(٥) الرضاب: الريق، أنخنا: حططنا الرحال. تروك: اسم ناقة وهبها له عضد الدولة. =

يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطِّيبَ بَعْدِي
وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَا[١]
وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ
وَيَمْنَحُهُ الْبَشَامَةَ وَالْأَرَاكَا[٢]
يُحَدِّثُ مُقْلَتَيْهِ النَّوْمُ عَنِّي
فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَا[٣]
وَأَنَّ الْبُخْتَ لَا يُعْرِقْنَ إِلَّا
وَقَدْ أَنْضَى الْعُذَافِرَةَ اللِّكَاكَا[٤]
وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ
إِذَا ٱنْتَبَهَتْ تَوَهَّمَهُ ٱبْتِشَاكَا[٥]

= الوراك: النمرقة، الوسادة الصغيرة، والطنفسة التي فوق الرحل. فثمّة من ينتظر قدوم الشاعر على أحرّ من الجمر؛ فإذا ما لمح الناقة قد أقبلت تحمل الشاعر ارتمى عليها يُقبل رحلها ووراكها لحظة بركها على الأرض.

(١) و (٢) صاك: ألصق. ومن شدة الشوق والحنين يُحرّم المستقبل للشاعر أن يتطيّب لشدّة حزنه على فراقه، ولقد كان قد لصق به العبير لحظة الفراق فلم يعد يُقبل أحداً سوى الشاعر لصدق عشرته له، ولعفّته، ومع ذلك فإنه يحرص على نظافة أسنانه، لذا فهو يستاك بالبشام والأراك؛ وهما من أفضل أنواع السواك.

(٣) الندى: الكرم. لا يزال الشاعر يصف حالة من تركه؛ إنه دائم النجوى فيحدّث نفسه عن الشاعر ليل نهار، ولطالما تمنّى أن يرى طيف الشاعر في منامه، وهمومه محصورة بالشاعر دون شيء آخر، لذا يتمنّى الشاعر لو أن هذا المشوق حدّثته نفسه عمَّا وجد الشاعر عند ممدوحه من الكرامة وحسن الضيافة لعذره وغفر له تأخّره.

(٤) البخت: الجمال الخراسانية، الإبل السمينة. يُعرقن: يأتين من العراق. أنضى: أهزل. العذافرة: الناقة القوية. اللكاك: الناقة المكثرة اللحم. ويتمنّى الشاعر على أحلام من في بلاد العراق، بخاصة من كان في الكوفة لو أنه علم خلال رؤيته ما قدّم الممدوح للشاعر من العطايا التي أهزلت مطاياه السمينة كثرة الأحمال التي حصل عليها من ممدوحه.

(٥) ابتشاك: كذب. يصرّح الشاعر أنه لا يرضى لمن حلم به إلّا أن يصدق حدسه ويرى في أحلامه ما آتيه به حقيقة لا كذباً لكثرته حتى لَيظنّ أن ذلك محض خيال.

وَلَا إلَّا بِـــأَنْ يُـــصْـــغِـــي وَأَحْـــكِـــي
فَـــلَـــيْـــتَـــهُ لَا يُـــتَـــيِّـــمُـــهُ هَـــوَاكَـــا[١]
وَكَـــمْ طَـــرِبِ الـــمَـــسَـــامِـــعِ لَـــيْـــسَ يَـــدْرِي
أَيَـــعْـــجَـــبُ مِـــنْ ثَـــنَـــائِـــي أَمْ عُـــلَاكَـــا[٢]
وَذَاكَ الـــنَّـــشْـــرُ عِـــرْضُـــكَ كَـــانَ مِـــسْـــكـــاً
وَذَاك الـــشِّـــعْـــرُ فِـــهْـــرِي وَالْـــمَـــدَاكَـــا[٣]
فَـــلَا تَـــحْـــمَـــدْهُـــمَـــا وَٱحْـــمَـــدْ هُـــمَـــامـــاً
إذَا لَـــمْ يُـــسْـــمِ حَـــامِـــدُهُ عَـــنَـــاكَـــا[٤]

---

(١) يُصغي: يستمع. يتيّمه: يستعبده. يُخبر الشاعر ممدوحه أنه لن يألو جهداً يُحدّث عنه من سوف يلتقيه من أحبابه وأصحابه وعن كرم أخلاقه وحسن وفادته، فضلاً عن كرمه الفيّاض، ممَّا يحمل هؤلاء على الإعجاب به وحبّه، لأن حبّه يتملك القلوب ويستعبدها لإحسانه.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٦. الثناء: المدح. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأنه ثمَّة من سوف يستمع إلى شعره في ممدوحه فيثير فيه إعجاباً عظيماً لشعر الشاعر فضلاً عن صفات الممدوح التي تشدّه إليه لما توحيه من مُثُل عُليا تتمثل فيه، وهو في الواقع لا يدري ما الذي يُثيره في نفسه شعر الشاعر أم شخص الممدوح؟

(٣) النشر: العرف الطيب. العرض: ما يمدح به المرء أو يذمّ. الفهر: الحجر يدق به الطيب ليصبح ناعماً. المداك: الصلاية التي يسحق بها. ينوّه الشاعر بتضافر عنصرين يجعلان لشعره لوناً خاصاً ورائحة فوَّاحة؛ لقد عمل الشاعر على نشر عرف الممدوح الطيب؛ فقد كان بمنزلة المسك الفوَّاح، وكان للشاعر العمل على تحويل تلك المادة المتجسّدة بالممدوح إلى عجينة بعد تهيئتها، فقد استعمل المداك وأحسن تصنيعها؛ فكان فوح عطر لهذا الثناء العبق.

(٤) الهمام: الملك العظيم. عناك: قصدك. يُردف الشاعر موضحاً لممدوحه فكرته بأن هذا المزيج العجيب من الفهر والمداك اللّذين حوّلا صفاتك إلى أغنية يتغنّى بها الشاعر، وحتى في حال لم يسمِّ الممدوح باسمه، فإنه معلوم أنه لا يُوجد سواه يحمل صفات ملك عظيم همام، وتلك المواصفات لا تنطبق إلّا على ممدوحه المقصود في هذه القصيدة.

أَغَــرَّ لَــهُ شَــمَــائِــلُ مِــنْ أَبِــيــهِ
غَــداً يَــلْــقَــى بَــنُــوكَ بِــهَــا أَبَــاكَــا[١]
وَفِــي الْأَحْــبَــابِ مُــخْــتَــصٌّ بِــوَجْــدٍ
وَآخَــرُ يَــدَّعِــي مَــعَــهُ ٱشْــتِــرَاكــا[٢]
إِذَا ٱشْــتَــبَــهَــتْ دُمُــوعٌ فِــي خُــدُودٍ
تَــبَــيَّــنَ مَــنْ بَــكَــى مِــمَّــنْ تَــبَــاكَــى[٣]
أَذَمَّــتْ مَــكْــرُمَــاتُ أَبِــي شُــجَــاعٍ
لِــعَــيْــنِــي مِــنْ نَــوَايَ عَــلَــى أُولَاكَــا[٤]
فــزُلْ يَــا بُــعْــدُ عَــنْ أَيْــدِي رِكَــابٍ
لــهَــا وَقْــعُ ٱلْأَسِــنَّــةِ فِــي حَــشَــاكَــا[٥]

(١) أغرّ: شريف. شمائل: صفات. يمدح الشاعر أسرة الممدوح، بدأ بممدوحه؛ فقد ورث الممدوح عن أبيه شرفاً لا يُضاهيه شرف، وتجسّدت به أخلاق أبيه جليَّة، كلّها محامد يفخر بها صاحبها، والممدوح صلة الوصل بين أبنائه وأبيه، لذا فهو سيُورثها أبناءه، وبذلك تستمرّ حياة مليئة بالفخار والسؤدد والعزّة.

(٢) و (٣) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٦. الوجد: شدّة الحبّ. اشتبهت: تشابهت. تباكى: تكلّف البكاء. يُقسم البشر قسمين؛ فمنهم من أخلص الودّ وصحّت صداقته، وتلك الفئة نادرة الوجود رغم وجودها، ومنهم من يدّعي الإخلاص والحبّ طالما أنه يرتبط بمصلحة مع من وجد عنده مطلبه؛ وهؤلاء كثيرون في كلّ زمان ومكان. والشاعر يصنّف نفسه ضمن المجموعة الأولى، إنه صادق الودّ لممدوحه، ثم يُردف فالبكاء كمادة لا يختلف بين البشر اللهم إلّا بنوعيته، فثمّة من يبكي بلوعة صادقة فراق أحبته، ومنهم مخاتل مخادع يصطنع البكاء وهو قادر عليه في كل وقت؛ فالفئة الأولى قليلة والفئة الأخرى كثيرة العدد في كلّ المجتمعات في كلّ زمان ومكان.

(٤) و (٥) أذمّ: استحصل له على الذمة والعهد. النوى: البعد. أولاك: لغة في أولئك، يروى «ثواي» بدلاً من «نواي». إنها مشكلة اعتراف بجميل؛ فقد قيّدت فضائل أبي شجاع الشاعر، وبذلك استحصل على وصايته، فهو في حماه وذمته، ولا يستطيع مخلوق أن يخفر له ذمّة، لذا فهو يُؤثر البقاء إلى جانبه دون الحرص على مغادرة دياره إلى موطنه وأهله. لذا فهو يخاطب البعد طالباً منه ألّا يُلحّ عليه بالذهاب ويتنحّى عن أيدي مطاياه، فالبعد كأسنة الرماح يقتل ويُدمي القلوب.

وَأَنَّـــى شِـــئْـــتِ يَـــا طُـــرُقِـــي فَـــكُـــونِـــي
أَذَاةً أَوْ نَـــــجَـــــاةً أَوْ هَـــــلَاكَـــــا[١]

فَـلَـوْ سِـرْنَـا وفـي تِـشْـرِيـنَ خَـمْـسٌ
رَأَوْنِـي قَـبْـلَ أَنْ يَـرَوُا الـسِّـمـاكَـا[٢]

يُـشَـرِّدُ يُـمْـنُ فَـنَّـاخُـسْـرَ عَـنِّـي
قَـنَـا الْأَعْـدَاءِ وَالـطَّـعْـنَ الـدِّرَاكَـا[٣]

وَأَلْـبَـسُ مِـنْ رِضَـاهُ فِـي طَـرِيـقِـي
سِـلَاحـاً يَـذْعَـرُ الْأَبْـطَـالَ شَـاكَـا[٤]

وَمَـنْ أَعْـتَـاضُ عَـنْـكَ إِذَا ٱفْـتَـرَقْـنَـا
وَكُـلُّ الـنَّـاسِ زُورٌ مَـا خَـلَاكَـا[٥]

---

(١) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٦. يروى «أيًّا» بدلاً من «أنّى». إنها روح تشاؤمية دفع الملل والضجر من حياة التشرّد ـ الشاعر إلى النطق بما تحمله المقادير لروح لم تعرف القرار يوماً، فالترحال ديدن صاحبها منذ أن وعى على الحياة، وهاهو يجد ملاذاً آمناً، ولكنه يرحل عنه مرغماً لدواع كثيرة؛ منها ما هو عائلي، ومنها ما هو قدري، فأنطقته الحكمة الإلهية بما سيؤول إليه أمره، فإذا به يُخاطب طريقه بأن تكون أذاة أو هلاكاً فجمع مصيبتين في مواجهة نجاة واحدة.

(٢) تشرين من أسماء الأشهر الشمسية، وهما اثنان: تشرين الأول وتشرين الثاني. السماك: كوكب نيّر، يقيس الشاعر المدى الزمني الذي يمكنه قطعه ليصل إلى موطنه الكوفة حيث يلتقي بأهله وأحبّته.

(٣) و (٤) يشرّد: يُنفّر، ويبعد. يمن: سعد. فناخَسْرو: اسم عضد الدولة. الطعن الدراك: المتتالي. ثمَّة ما يُصاحب الشاعر طوال عودته إلى موطنه كرم فناخسرو وطالع سعد الشاعر مع ممدوحه سيبعد عنه رماح الأعداء وطعنهم المتتالي، لأن هؤلاء يعلمون يقيناً حسن حماية الممدوح للشاعر؛ إنه بذمته وحمايته، وهذا كافٍ في هذه الحالة. وقد ارتدى رضى مانعاً تتكسّر عليه كلّ محاولات الأبطال النيل من الشاعر مهما جمعوا من سلاح.

(٥) اعتاض: استبدل. الزور: البهتان. يُنوّه الشاعر بإخلاصه للممدوح فلن يستبدله بسواه مهما علت منزلته، وقد تحقّق من أن كلّ من مدحهم طوال حياته زور وبهتان، فالفراق آتي، فلا بدّ من عودة.

وَمَـــا أَنَـــا غَـــيْـــرُ سَـــهْـــمٍ فِـــي هَـــوَاءٍ
يَـعُـودُ وَلَـمْ يَـجِـدْ فِـيـهِ ٱمْـتِـسَـاكَـا[١]
حَـــيِـــيٌّ مِـــنْ إِلٰـــهِـــي أَنْ يَـــرَانِـــي
وَقَـدْ فَـارَقْـتُ دَارَكَ وَٱصْـطَـفَـاكَـا[٢]

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٦. إنه وعد بعود سريع، فهو في رحلته كسهم لا يُفلح أحد بإمساكه لسرعة انطلاقه فلن تخطفه يد مهما حاولت.

(٢) يُعلن الشاعر عن اعتذاره أنه يترك ممدوحه مرغماً، ولهذا فالحياء يلفّه بمسحة من اللّه تعالت قدرته، إنه قد اصطفى الممدوح ليكون سبب إرزاق العباد، مخافة أن يراه قد فارقه وزهد فيه؛ وذلك مدعاة كفران بالنعمة ومسببها وفاعلها.